جامعة الأزهر
كلية اللغة العربية بإيتاي البارود
المجلة العلمية

الإحالة الضميرية وأثرها في التماسك النصي
قصيدة (الغاوي الذي استرشد)
للشاعر محمد حسن فقي نموذجا

إعداد

د/ محمد عليوة علي إسماعيل.

المدرس بقسم النحو والصرف والعروض،

كلية دار العلوم، جامعة القاهرة، مصر.

(العدد السادس والثلاثون)

(الإصدار الأول .. فبراير)

(١٤٤٤هـ - ٢٠٢٣م)

علمية- محكمة- ربع سنوية

الترقيم الدولي: ISSN 2535-177X

الإحالة الضميرية وأثرها في التماسك النصي قصيدة (الغاوي الذي استرشد) للشاعر محمد حسن فقي نموذجا

محمد عليوة علي إسماعيل.

قسم النحو والصرف والعروض، كلية دار العلوم، جامعة القاهرة، مصر.

البريد الإلكتروني: elewa7735@yahoo.com

الملخص:

تعد (الإحالة) من أهم عناصر الاتساق النصي (السبك النحوي الدلالي)؛ الذي هو أحد معايير النصية السبعة.. بل أهمها؛ إذ إنها تجعل أجزاء النص أكثر تماسكا وارتباطا، مُشَكِّلَةً منه وحدة دلالية كبرى.

ويُظهِرُ هذا البحث إلى أي مدى أسهمت (الإحالة الضميرية) بوصفها من أبرز وسائل الإحالة في إحداث قدر كبير من التماسك النحوي والدلالي لقصيدة (الغاوي الذي استرشد) للشاعر السعودي محمد حسن فقي (شاعر مكة)؛ حيث برز دورها جليا في إظهار النص بوصفه وحدةً كليةً متجانسة من خلال ضلوعها في الربط البَيِّن بين شِقَيِ الدلالة: ما هو لفظي وما هو معنوي.

الكلمات المفتاحية: محمد حسن فقي، الإحالة، الإحالة الضميرية، التماسك النصي، نحو النص.

Pronoun referral and its impact on textual coherence The poem (The Seducer Who Was Guided) by the poet Muhammad Hassan Faki as an example

Muhammad Aliwa Ali Ismail.
Department of Grammar, Morphology and Prosody.
Faculty of Dar Al Uloom - Cairo University - Egypt.
Email: elewa7735@yhaoo.com

Abstract:
Referral is one of the most important elements of textual consistency (semantic grammatical casting). Which is one of the seven textual criteria.. rather the most important of them; As it makes the parts of the text more coherent and connected, forming a major semantic unit out of it.

This research shows the extent to which (conscientious referral) contributed as one of the most prominent means of referral in creating a great deal of grammatical and semantic coherence for the poem (The Seducer Who Was Guided) by the Saudi poet Muhammad Hassan Faki (the poet of Mecca); Where its role was evident in showing the text as a total and homogeneous unit through its involvement in the clear link between the two parts of the signification: what is verbal and what is moral.

Keywords: Poet Muhammad Hassan Faki, referral, conscientious referral, textual coherence, towards the text.

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الخلق والمرسلين، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن تبع هداه إلى يوم الدين.

أما بعد...

فمن المعلوم أنه لا يكون الكلام نصا إلا إذا توافرت فيه مجموعة من المعايير، يقول دي بوجراند: "وأنا أقترح المعايير التالية لجعل النصية أساسا مشروعا لإيجاد النصوص واستعمالها "[1]. وهذه المعايير هي: الاتساق (السبك النحوي الدلالي)، الانسجام، المقصدية، المقبولية، السياق، التناص، الإخبارية أو الإعلامية.

والحقيقة أن هناك عدة وسائل تجعل من النص وحدة منسجمة مترابطة، وتُكسبه التماسك المرجوَّ. وقد وقع اختيار الباحث على واحدة من أهمها؛ ألا وهي (الإحالة الضميرية) لما لها من كبير أثر في تشكيل أحد أهم معايير النصية السبعة؛ ألا وهو السبك النحوي، وهذا من خلال الدراسة التطبيقية لإحدى قصائد عَلَم من أعلام الشعر العربي والسعودي المعاصر؛ هو الشاعر: محمد حسن فقي، وهي القصيدة الموسومة بـ(الغاوي الذي استرشد).

<u>أسباب اختيار الشاعر محمد حسن فقي:</u>

١- المكانة السامقة لفقي؛ حيث إنه أغزر شعراء المملكة العربية السعودية إنتاجا على مر عصورها بلا نزاع.

٢- القيمة اللغوية والفنية العالية لشعره.

(١) النص والخطاب والإجراء، تأليف دي بوجراند، ترجمة: د. تمام حسان، عالم الكتب، ط١، ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م، ص: ١٠٣-١٠٥. ويعد دي بوجراند من أوائل النصيين المحدثين الذين حددوا بدقة تلك المعايير، بحيث جاءت جامعة لكل مفاهيم على اختلافها.

٣- عدم وجود دراسة نحوية نصية – على حد علم الباحث- تناولت شعره بشيء من البحث.

٤- تنوع ألوانه الأدبية: أشعار فصحى، لزوميات، مقالات متنوعة- وإن خرج الأخيران عن مجال الدراسة.

٥- بروز العناصر الإحالية الضميرية في شعره بصورة لافتة للنظر تجعل منها لغة خاصة لديه، لا سيما في القصيدة المختارة (الغاوي الذي استرشد).

أهداف الدراسة:

١- تجلية نحوية نصية لأحد أبرز رواد الشعر المعاصرين في السعودية.

٢- إبراز دور النحو في التحليل الأدبي للنصوص، وبيان مدى تفاعل معطياته في إبداع الدلالة الشعرية، بوصف الأولى وسيلة، والثانية غاية ومراما، مع التطبيق على قصيدة (الغاوي الذي استرشد).

٣- محاولة الربط بين أحد المفاهيم التراثية من ناحية والدراسات اللغوية المعاصرة ومواكبتها من ناحية أخرى، مفيدا من الثانية تلك التي خطت بعيدا في مجال اللسانيات النصية، من خلال دراسة (الإحالة الضميرية) في القصيدة المختارة. مبرزا أثرها في أحكام التماسك النصي لها.

وبخصوص الدراسات السابقة لم يجد الباحث عنوانا مشابها أو قريبا يمس الشاعر محمد حسن فقي، وإن كانت هناك دراسات متعددة تناولت مسألة الإحالة الضميرية ولكن في أعمال لأدباء آخرين.

منهج البحث:

١-وصفي. ٢- تحليلي.

خطة البحث:

١- **المقدمة:** (أسباب اختيار الموضوع- أهداف البحث - مناهج البحث- الدراسات السابقة- خطة البحث)

٢- المباحث:

الأول التنظيري: (مفاهيم وعلاقات أساسية):

ويتناول:

أولا: السبك والحبك.

ثانيا: التماسك النصي.

ثالثا: الإحالة.

رابعا: الضمائر.

الثاني التطبيقي: التحليل النصي لقصيدة (الغاوي الذي استرشد).

١- تعليق على القصيدة.

٢- الخاتمة وأهم النتائج.

٣- مصادر البحث ومراجعه.

والله من وراء القصد وهو يهدي السبيل

المبحث الأول التنظيري

مفاهيم وعلاقات أساسية

مدخل: هناك العديد من المفاهيم والعلاقات التي لابد من الوقوف عليها ابتداء قبل الولوج إلى التحليل النصي للقصيدة.

أولا: السبك أو الربط أو التضام Cohesion

يشترك نحو الجملة ونحو النص في معيارين من المعايير السبعة للنصية؛ ألا وهما: السبك والحبك(١).

ويقصد به لغة: إذابة الذهب أو الفضة، ووضعها في قالب ما، لتخرج متلاصقة ومتماسكة، وتسمى سبيكة(٢).

أما اصطلاحا فيعرِّفه النصيُّون بأنه: " إحكام علاقات الأجزاء، ووسيلة ذلك إحسان استعمال المناسبة المعجمية من جهة، وقرينة الربط النحوي من جهة أخرى، واستصحاب الرتب النحوية إلا حين تدعو دواعي الاختيار الأسلوبي ورعاية الاختصاص والافتقار في ترتيب الجمل"(٣).

(١) انظر: نحو النص اتجاه جديد في الدرس النحوي، د. أحمد عفيفي، مكتبة زهراء الشرق،٢٠٠١م، ص: ٩٠.

(٢) انظر: لسان العرب، أبو الفضل جمال الدين بن منظور، تحقيق أمين محمد عبد الوهاب ومحمد صادق العبيدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٢، ١٩٩٧م. مادة (سبك)، وتاج العروس، محمد بن عبد الرزاق المرتضى الزبيدي، تحقيق علي شيري، دار الفكر، ١٩٩٤م، مادة (سبك).

(٣) البديع في البلاغة العربية واللسانيات النصية، د. جميل عبد المجيد، مكتبة لسان العرب، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٦م، ص: ٧٨-٧٩.

فهو بذلك يكون مسئولا عن تحقيق الوحدة والانسجام والتماسك للبنية اللغوية (جملة كانت أو نصا) [١].

ويطلق كذلك على السبك الترابط الرصفي، وهو معيار يهتم بظاهر النص ودراسة الوسائل التي تتحقق بها خاصية الاستمرار اللفظي؛ أي إن هذا الربط يترتب على إجراءات تبدو بها العناصر السطحية على صورة وقائع يؤدي السابق منها إلى اللاحق، والمقصود بظاهر النص تلك الأحداث اللغوية التي ننطق بها أو نسمعها في تعاقبها الزمني والتي نخطها أو نراها، وهذه الأحداث أو المكونات ينتظم بعضها مع بعض تبعا للمباني النحوية؛ ولكنها لا تشكَّل نصا إلا إذا تحقق من وسائل السبك ما يجعل النص محتفظا بكينونته واستمراره [٢]. وبإيجاز فالسبك أو الترابط الرصفي أقرب إلى ظاهر النص ومرتبط بالدلالة النحوية.

وينقسم السبك إلى قسمين: **السبك النحوي** ومن وسائله الإحالة والحذف والإبدال والوصل والربط، **والسبك المعجمي** الذي يضم التكرار والمصاحبة المعجمية[٣].

وللسبك أهمية كبيرة في بناء النصوص، يمكن أن نذكر بعضها:

١- الاختصار والاقتصاد اللغوي، وهذا ما يتضح جليا في (الإحالة).

٢- يحيل أجزاء النص إلى كلٍ متماسك شديد الترابط.

٣- يؤدي إلى الفهم الصحيح للمفردات، فمن الثابت أن المعنى المعجمي لمفردة ما يحدد عن طريق السياق النصي الواردة فيه[٤].

---

(١) انظر: النحو والفكر والإبداع: دراسة في النص وتوثيقه، ممدوح الرمالي، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٩٨م، ص: ٥ .

(٢) انظر: نحو النص اتجاه جديد في الدرس النحوي (مرجع سابق)، ص: ٩١.

(٣) انظر: البديع في البلاغة العربية (مرجع سابق)، ص: ٧٧.

(٤) انظر: نحو أجرومية للنص الشعري، دراسة في قصيدة جاهلية، سعد مصلوح، بحث منشور في مجلة (فصول)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مج١٠، العدد (١) ، ١٩٩١م، ص: ٣٢.

ثانيا: الحبك أو الانسجام أو الاتساق أو التقارن...Coherence

والحبك بمعناه المعجمي هو: الإحكام والإتقان والتوثيق وتحسين الصنعة وتجويدها، فالحَبْكُ هو: "الشدُّ، وحبَكَ الشيءَ: شدَّه وأحكمه، وحَبَك بإزاره احتبى به وشدَّه إلى يديه"، وحَبَكَ الثوبَ يحبِكه ويحبُكه حبكا: أجاد نسجه بإتقان وحسَّن أثر الصنعة فيه، والمحبوك: ما أجيد عمله والمُحْكم الخَلْق، والحِباكُ: جموع الخشب مشدودة في الوسط بحبل، والحُبْكة: الحُجْزة وهو شد الإزار، وتحبَّك: شد حُجْزته، وتحبَّكت المرأة بنطاقها: شدَّته في وسطها، وعن ابن المبارك أنه قال: جعلت سواك في حُبكي: أي في حُجزتي. وحَبَكَ العِقدة: قوَّى عَقدها ووثقها، وحبك الأمر إذا أحسن تدبيره(١).

أما بمعناه الاصطلاحي فيعرف الحبك – ويطلق عليه كذلك "الانسجام" أو"الاتساق" أو "التقارن" مقابلا للمصطلح (Coherence) – بأنه هو: " تلك العلاقات الخفية التي تنظم النص وتولده"(٢). فهو إذن وثيق الصلة بالمعاني؛ أي" يتصل بالعلاقات الدلالية، وهو ما يخص المعنى وسلسلة المفاهيم والعلاقات الرابطة بينهما"(٣). أو بعبارة أخرى هو ترابط مفهومي دلالي بين أبنية النص يمكن أن ينتج في نهاية بنية دلالية كبرى متلاحقة الأجزاء ومنسجمة العناصر(٤).

(١) انظر: لسان العرب: مادة (حبك) (مرجع سابق)، وكذلك المعجم الوسيط، إبراهيم أنيس– عبد الحليم منتصر– عطية الصوالحي– محمد خلف الله أحمد، مجمع اللغة العربية– مكتبة الشروق الدولية–٢٠٠٤م، مادة (حبك)، وكذلك وتاج العروس (مرجع سابق): مادة (حبك).

(٢) لسانيات النص– مدخل إلى انسجام الخطاب، محمد خطابي، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط١، ١٩٩١م، ص: ٢.

(٣) نحو النص اتجاه جديد في الدرس النحوي (مرجع سابق)، ص: ٩٠.

(٤) انظر: اتجاهات لغوية معاصرة في تحليل النص، د. سعيد حسن البحيري، مجلة علامات، النادي الأدبي الثقافي، جدة، ج١٠، الجزء ٣٨، ٢٠٠٠م، ص: ١٧٣.

يُعنى الحبك إذن برصد وسائل الاستمرار الدلالي في عالم النص أو العمل على إيجاد الترابط المفهومي الذي هو أقرب إلى تلك الروابط التضمنية، ويتصل هذا النوع بالنحو الدلالي الذي يهتم بكيفية ارتباط مفاهيم مثل: فاعل وحدث وحالة وصفة من أجل إيجاد معنى كلي للنص [١].

وللحبك وسائل عدة، منها: الوصل دون أداة، والإحالة الضمنية، وترتيب أحداث النص معتمدة على أحوال تتمثل في " العام والخاص، والكل والجزء، والمجموعة والعنصر، والمُتضَّمَّن والمتضَّمِّن، والخارج والداخل"[٢].

ومن هنا تبرز أهمية (السبك والحبك) بوصفهما عنصرين فاعلين في إحداث نوع من التماسك النصي؛ أي التحام ظاهر النص مع باطنه، أو بعبارة أخرى التحام شكله مع مضمونه، من حيث إن الأول يرتبط باللفظ والآخر يرتبط بالمعنى، وهما قوام أي نص.

ويعرف النصيون التماسك النصي بأنه: " وجود علاقة بين أجزاء أو جمل النص أو فقراته؛ لفظية أو معنوية، وكلاهما يؤدي دورا تفسيريا؛ لأن هذه العلاقة مفيدة في تفسير النص[٣]، كما أكد صلاح فضل أن التماسك هو خاصية نحوية للخطاب تعتمد على علاقة كل جملة منه بالأخرى، وهو ينشأ غالبا عن طريق الأدوات التي تظهر في النص مباشرة كحروف العطف والوصل والترقيم وأسماء الإشارة وأداة التعريف والاسم الموصول وغيره... [٤].

---

(١) انظر: نحو النص اتجاه جديد في الدرس النحوي (مرجع سابق)، ص: ١٠٣.

(٢) النص والسياق استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي، فان دايك، ترجمة: عبد القادر قنيني، أفريقيا الشرق، المغرب، ١٩٩٩م، ص: ١٥٤.

(٣) انظر: نحو النص اتجاه جديد في الدرس النحوي (مرجع سابق) ص: ٩٨.

(٤) انظر: في اللسانيات ونحو النص، د. إبراهيم محمود خليل،عمان، ط٢، ٢٠٠٩م-١٤٣٠هـ، ص: ٢١٩.

ثالثا: الإحالة

إنَّ من أهم وسائل التماسك النصي: **الربط بالتعريف**، وهو يشبه الربط بالضمائر نظرا لما يتضمنه من عهد ذكري أحيانا، **والتقديم والتأخير**، **وأحرف العطف**، وهي أشهر أدوات الوصل بمعانيها المختلفة، **والحذف**، وهو وسيلة ربط تكون أحيانا أفضل من الاعتماد على الذكر كما يقول عبد القاهر، **والاستبدال**، وهو عملية تتم داخل النص بتعويض عنصر في النص بعنصر آخر، **والتضام**، **والربط بالموصول**، **والتكرار**، وهو ضرب من ضروب الإحالة إلى سابق، **والإحالة** وهي ما تهمنا في هذا البحث.

والإحالة لغة هي مصدر للفعل (أحال) بمعنى: غَيَّر أو نَقَلَ الشيَء إلى شيء آخر(١). ومعلوم أن التغيير من حالة إلى أخرى يقوم على وجود علاقة، وهذه العلاقة هي التي سَوَّغَتْ التغيير.

أما اصطلاحيا فقد عرفها دي بوجراند بأنها: "العلاقة بين العبارات من جهة وبين الأشياء والمواقف في العالم الخارجي الذي تشير إليه العبارات(٢)، كما عرفها كلماير بأنها: "العلاقة القائمة بين عنصر لغوي يطلق عليه (عنصر علاقة) وضمائر يطلق عليها (صيغ الإحالة) (٣). أو حسب د. سعيد بحيري هي: عود الضمير وما يقوم مقامه من إشارة أو أداة تعريف أو إعادة لفظ أو معنى(٤). وليس بخفي قرب المعنى الاصطلاحي للإحالة من معناها اللغوي.

---

(١) انظر: لسان العرب، والمعجم الوسيط: مادة (حول).

(٢) تحليل الخطاب، ج.ب. براون/ ج، يول، ترجمة محمد لطفي الزليطي ومنير التريكي، جامعة الملك سعود– الرياض، ١٩٩٧م، ص: ٣٦.

(٣) دراسات لغوية تطبيقية، د. سعيد حسن بحيري، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، ١٩٩٩م، ص: ٨٢.

(٤) انظر: الموقعية في النحو العربي: دراسة سياقية، د. حسين رفعت حسين، الناشر: عالم الكتب، ط١٤٢٨،١هـ– ٢٠٠٥م، ص:٢٠٤.

وللإحالة وظيفة كبرى في إحداث التماسك النصي؛ إذ إن لها قدرة على مد جسور التواصل بين أجزاء النص المتباعدة والربط بينها ربطا وثيقا. غير أنه من غير المستحسن طول البعد الخطي بين اللفظ الكنائي وما يشترك معه في الإحالة على حد قول دي بوجراند(١).

والإحالة من حيث الظرفية نوعان رئيسان: الأول الإحالة الخارجية، ويطلق عليها اصطلاحا "Exophora" وتسمى كذلك المقامية "Situational" وذلك باعتبار أن اللغة تحيل دائما على أشياء وموجودات خارج النص أو (خارج اللغة)، وهنا يجب على القارئ أن يلتفت إلى خارج النص حتى يتعرف الشيء المحال عليه، هذا هو النوع الأول. أما النوع الثاني فهو الإحالة الداخلية (داخل النص أو داخل اللغة) ويطلق عليها اصطلاحا "Endaphora"، وتسمى كذلك النصية " Textul " وتتحقق داخل النص إما من خلال الرجوع إلى ما سبق ويطلق عليها الإحالة القبيلة، وإما بالإشارة إلى ما سوف يأتي داخل النص ويطلق عليها بدورها الإحالة البعدية، فالأولى تحيل إلى مذكور قد سبق التلفظ به، والثانية تحيل إلى مذكور لاحق أو بعبارة أخرى تعود على عنصر إشاري مذكور بعدها في النص، والأولى هي الأكثر دورانا في الكلام(٢) .

(١) انظر: النص والخطاب والإجراء (مرجع سابق)، ص: ٣٢٧. وكذا دراسات لغوية تطبيقية في العلاقة بين البنية والدلالة، د. سعيد حسن بحيري، مكتبة زهراء الشرق، ص: ٨٢.

(٢) ينظر: مدخل إلى علم لغة النص: مدخل إلى مشكلات بناء النص، زتسيلاف وأورزيناك، ترجمة وتعليق سعيد حسن بحيري، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ط١، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م، ص: ٦٩. وكذا: لسانيات النص (مرجع سابق)، ص: ١٧.

رسم توضيحي

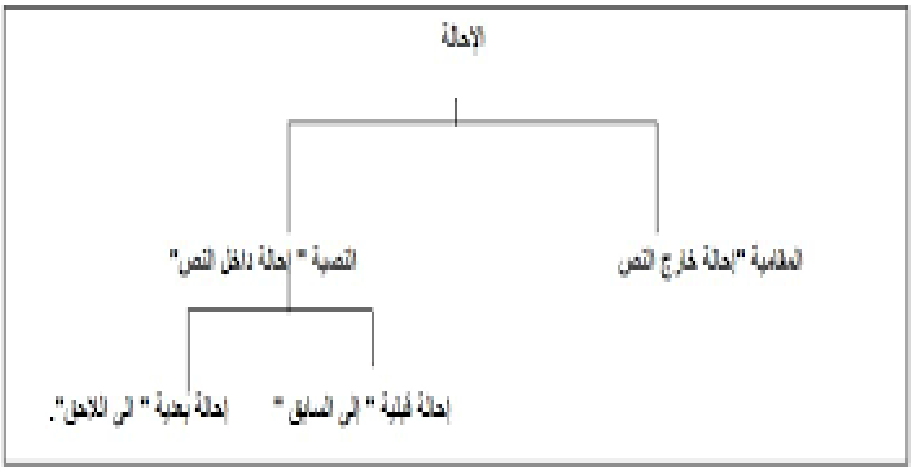

ومن الممكن أن نضيف نوعا آخر للإحالة وهو ما يطلق عليه (الإحالة التكرارية)، وتتمثل في تكرار لفظ أو عدد من الألفاظ في بداية كل جملة من جمل النص قصد التأكيد، ومن أمثلة الإحالة التكرارية إلى اللاحق ضمير الشأن في العربية[١] .

رابعا: الضمائر

يدل الضمير في اللغة على الخفاء والهزال والاستتار وزوال الشيء عن العيان[٢]. ويعرفه ابن منظور بأنه: " السر وداخل الخاطر والجمع ضمائر... تقول أضمرت صَرْف الحرف إذا كان متحركا فأسكنته، وأضمرت في نفسي شيئا،

(١) ياظر: دراسات لغوية وتطبيقية (مرجع سابق)، ص: ٨٨-٨٩.

(٢) وينظر: العين، لأبي عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفرهيدي (ت١٧٥هـ)، تحق: د. مهدي المخزومي، ود. إبراهيم السامرائي. سلسلة المعاجم والفهارس، (د.ت)، و(د.ط): ٤١/٧، تهذيب اللغة، لأبي منصور محمد بن أحمدالأزهري (ت ٣٧٠هـ). تقديم بقلم عبد السلام هارون، دار القومية العربية للطباعة، ١٣٨٤هـ ١٩٦٤م، ص: ٣٦/١٢-٣٧.

والاسم الضمير والجمع الضمائر... وأضمرته الأرض غيبته إما بموت وإما بسفر"[(١)].

أما في الاصطلاح فلم نجد عند سيبويه تعريفا محددا للضمائر، وإنما مثَّل لها في أبواب متفرقة، لا سيما في باب المبهمات[(٢)]، وقد ذكرها المبرد في معرض حديثه عن المعارف[(٣)] .

وأسماها ابن السراج الكنايات والمضمرات، فتارة يقول كناية وثانية ضميرا وأخرى مضمرا[(٤)]. ومصطلح كناية يلمح إلى الدور الإشاري للضمائر في الاستخدام اللغوي وكذا إلى وظيفته الربطية التعليقية للعناصر اللغوية بعضها ببعض.

والواقع أن الكناية – في الغالب– مصطلح كوفي، أما المضمر والضمير فمصطلحان بصريان. وهما عند الكوفيين مترادفان، في حين يرى البصريون أن المضمرات نوع من الكنايات؛ فكل مضمر مكني، وليس كل مكنيّ مضمرا[(٥)].

وأيا ما كان من اختلاف في اللفظين فالمعنى المراد منهما واحد، وكلاهما يشير إلى وجود مفسر للضمير أو للاسم المكنيّ.

---

(١) لسان العرب (مرجع سابق) ص: ٤/٢٦٠٦-٢٦٠٧.

(٢) ينظر: الكتاب، لسيبويه (أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر) (ت١٨٠هـ)، تحق: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، ط٣، القاهرة، ١٤٠٨هـ- ١٩٨٨م، ص: ٢/٧٧-٧٨.

(٣) ينظر: المقتضب، أبو العباس بن محمد بن يزيد المبرد، (ت ٣٨٥هـ)، تحق محمد عبد الخالق عضيمة، القاهرة ١٤١٥هـ-١٩٩٤م، ص: ٤/٢٧٩، ٢٨٠، ٢٨١.

(٤) ينظر: الأصول في النحو، لأبي بكر محمد بن سهل بن السراج النحوي البغدادي، (ت٣١٦هـ)، مؤسسة الرسالة، ط٣، ١٤١٧هـ- ١٩٩٦م، ص: ٢/١١٥.

(٥) ينظر: شرح المفصل للزمخشري، لموفق الدين أبي البقاء يعيش بن علي بن يعيش الموصلي، (ت٦٤٣هـ)، صحح وعلق عليه مشيخة الأزهر، الطباعة المنيرية، مصر (د.ت)، و(د.ط)، ص: ٣/٨٤.

وقد عرّف أبو القاسم السهيلي الضمير بقوله: " إذا تقدم في الكلام اسم ظاهر ثم أعيد ذكره أومأ المتكلم إليه بأدنى لفظ، ولم يحتج إلى إعادة اسمه لتقدم ذكره، فإذا أضمره في نفسه – أي أخفاه– ودل المخاطب عليه بلفظة مصطلح عليها، سميت تلك اللفظة اسما مضمرا؛ لأنها عبارة عن الاسم الذي أضمر استغناء عن لفظ ظاهر"(١).

وهنا يشير السهيلي من طرف خفي إلى بعض وظائف الضمائر ألا وهي تجنب التكرار وعدم الإطالة. وقريب من قول السهيلي عن الضمير قول الرضي(٢).

غير أن ابن مالك كان أخصر وأدق في تعريفه للضمير حيث قال: " وهو الموضوع لتعيين مسماه مشعرا بتكلمه أو خطابه أو غيبته"(٣).

وللضمائر وظائف عدة منها الاختصار، ورفع الالتباس، وتجنب التكرار، غير أن الربط يعد من أعظم الوظائف المنوطة بالضمائر، فهو يقوم بوظيفته في وصل الجمل والتراكيب محدثا درجة كبيرة من التماسك النصي.

وتنقسم الضمائر من الجهة التداولية إلى ضمائر تكلم وخطاب وغيبة، والأولى أعرفها، ومن حيث الدلالة العددية تنقسم إلى مفرد ومثنى وجمع، ومن حيث الدلالة النوعية إلى مذكر ومؤنث، ومن حيث الظهور النطقي والكتابي إلى ظاهرة (بارزة) ومستترة، كما تنقسم الظاهرة من حيث الالتصاق بما قبلها إلى

(١) نتائج الفكر في النحو، أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله السهيلي، (ت٥٨١هـ)، تحقيق أ.د محمد إبراهيم البنا، دار السلام، (د.ط)، (د.ت)، ص: ١٨٣.

(٢) ينظر: شرح الرضي على كافية بن الحاجب، الاستراباذي، تحقيق عبد العال سالم مكرم، عالم الكتب، القاهرة، الطبعة الأولى ٢٠٠٠م، ص: ١١١/٢.

(٣) شرح التسهيل، جمال الدين محمد بن مالك الأندلسي، (ت٦٧٢هـ)، تحقيق د. عبد الرحمن السيد، ود. المختون، هجر للطباعة والنشر، ط١، ١٤١٠هـ- ١٩٩٠م، ص: ١٢٠/١.

متصلة ومنفصلة، كذا تنقسم من حيث الموقعية الوظيفية إلى ضمائر رفع ونصب وجر[١].

ومن الضمائر كذلك ضمير الفصل والعماد، والفصل مصطلح البصريين، أما العماد فهو مصطلح الكوفيين، الغرض منه التأكيد، والإشعار بتمام الاسم الذي قبله وكماله، وكون الاسم الوارد بعده خبرا لا صفة[٢].

وهناك ضمير الشأن " ومن عادة العرب أنهم قد يقدمون على الجملة ضميرا تفسره الجملة بعده يسمى ضمير الشأن، ويسميه الكوفيون ضمير المجهول، وذلك في مواضع التفخيم والتعظيم، يقولون: (هو زيد منطلق) ومعنى: (هو): (زيد منطلق) أي معنى الضمير هو معنى الجملة فيكون المعنى هكذا: الشأن زيد منطلق، أو الأمر زيد منطلق: ويعني بالأمر ما بعده[٣].

ويبدو أن تسمية البصريين – وقد سموه كذلك ضمير الحديث وضمير القصة_ جاءت وفقا لدلالته التي يشتم منها معنى التعظيم والتفخيم، والجملة بعده

(١) ينظر: شرح المفصل (مرجع سابق)، ص: ٨٤/٣، وجامع الدروس العربية، الشيخ مصطفى الغلاييني، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، ط٢٨، ١٤١هـ- ١٩٩٣م، ص: ١١٦/١-١١٧، والنحو الوافي، عباس حسن، دار المعارف بمصر، ط٣، (د.ت)، ص: ٢٢٦/١-٢٢٧، و نظام الارتباط والربط في تركيب الجملة العربية، لمصطفى حميدة، ناشرون، ط١، ١٩٧٧م، ص: ١٥٣.

(٢) ينظر: شرح الكافية الشافية، أبو عبد الله جمال الدين محمد بن عبد الله بن محمد بن مالك الطائي الجياني الشافعي، (ت ٦٧٢هـ)، تحق علي محمد معوض، وعادل أحمد عبد الموجود، منشورات بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٢٠هـ- ٢٠٠٠م، ص: ٩٧/١-٩٨، وكذا: شرح التسهيل (مرجع سابق): ١٦٧/١.

(٣) معاني النحو، لفاضل صالح السامرائي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، الأردن، ط١، ١٤٢٠هـ- ٢٠٠٠م، ص : ٥٧.

مفسرة له، أي قدروا من معناها ما يفسر هذا الضمير"[١]. أما تسمية الكوفيين له بضمير المجهول؛ فذلك لأن " ذلك الشأن مجهول لكونه مقدرا إلى أن يفسر، فهو لم يتقدمه ما يعود عليه، ولا يمكن ان يفسر إلا مما يأتي بعده، فلو تقدم تفسيره قبله لما احتاج إلى تفسير[٢].

" ويشكل ضمير الشأن بنية إحالية ذات وظيفة خاصة، حرص النحاة على تأكيدها، وهم يتفقون أساسا على أنه مبهم، غائب، مفرد، يتصدر الجملة، يفسره ما يليه، يقصد به التعظيم والتفخيم...، وهو كناية عن الجملة بعده، وتكون الجملة خبرا له وتفسيرا له أيضا، ولذا يطلق عليه ضمير الجملة "[٣].

وفضلا عن الدور البارز لضمير الشأن في كشف الغموض والإبهام وإزالة اللبس يظهر دوره بوضوح في الربط بين الجمل وتحقيق التماسك النصي؛ حيث إنه يمثل نمطا قياسيا مطردا من أنماط الإحالة البعدية فيها تكون الإحالة إلى عناصر إشارية لاحقة؛ مخالفا طبيعة الاستخدام اللغوي للضمائر؛ لأنه يتفرد دونها بعودته على متأخر لفظا ورتبة، ولا يتقدم مرجعه عليه أبدا؛ كون مرجعه جملة مفسرة له، ومعلوم أن المفسِّر لا يتقدم على المفسَّر بحال.

ولأن الضمائر لا تخلو من الغموض والإبهام؛ لا سيما ضمير الغائب؛ كونَه غير مشاهد ولا معاين كان من الضروري وجود مرجع له معلوم أو مفسر، ولهذا عُدت الضمائر من المعارف، يقول سيبويه: " وإنما صار الإضمار معرفة؛

(١) ينظر: شرح الرضي على كافية بن الحاجب (مرجع سابق)، ص: ٢١٢/٣.

(٢) ينظر: شرح الرضي على كافية ابن الحاجب (مرجع سابق)، ص: ٢١٤/٣، وكذا دراسات لغوية وتطبيقية (مرجع سابق)، ص: ١٢٥، وكذا الخصائص، لابن جني: تحقيق محمد علي النجار، المكتبة العلمية، القاهرة، د.ت، ص: ٣٩٧/٢.

(٣) معاني النحو (مرجع سابق)، ص: ٥٧.

لأنك إنما تضمر اسما بعد ما تعلم أنَّ مَنْ يُحدِّث قد عَرَف مَنْ تعني، وما تعني، وأنك تريد شيئا يعلمه"[(١)].

والأصل أن يعود الضمير على الأقرب ما لم توجد قرينة تصرفه إلى غير الأقرب، كما أن الأصل كذلك أن يتطابق الضمير ومرجعه في النوع والعدد غير أن ثمة عدولا عن هذا الأصل لغرض معين.التكلم

ولعود الضمير أحكام، منها:

١- أن يكون يكون مرجعه متقدما عليه لفظا ورتبة، نحو: "الكتاب أخذته"، أو متأخرا عنه لفظا متقدما عليه رتبة، نحو: "أخذ كتابه زهير"[(٢)].

٢- وأن يعود على مذكور، وغير مذكور، نحو قوله- تعالى-: ﴿ يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِيٓ أَوۡلَٰدِكُمۡۖ لِلذَّكَرِ مِثۡلُ حَظِّ ٱلۡأُنثَيَيۡنِۚ فَإِن كُنَّ نِسَآءٗ فَوۡقَ ٱثۡنَتَيۡنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَۖ وَإِن كَانَتۡ وَٰحِدَةٗ فَلَهَا ٱلنِّصۡفُۚ وَلِأَبَوَيۡهِ لِكُلِّ وَٰحِدٖ مِّنۡهُمَا ٱلسُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِن كَانَ لَهُۥ وَلَدٞۚ فَإِن لَّمۡ يَكُن لَّهُۥ وَلَدٞ وَوَرِثَهُۥٓ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ ٱلثُّلُثُۚ فَإِن كَانَ لَهُۥٓ إِخۡوَةٞ فَلِأُمِّهِ ٱلسُّدُسُۚ مِنۢ بَعۡدِ وَصِيَّةٖ يُوصِي بِهَآ أَوۡ دَيۡنٍۗ ءَابَآؤُكُمۡ وَأَبۡنَآؤُكُمۡ لَا تَدۡرُونَ أَيُّهُمۡ أَقۡرَبُ لَكُمۡ نَفۡعٗاۚ فَرِيضَةٗ مِّنَ ٱللَّهِۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمٗا ﴿١١﴾ ﴾[(٣)]. فالضمير في (أبويه) عائد على (المتوفى)، وهو مفهوم ضمنا من السياق[(٤)].

---

(١) معاني الكتاب، عمرو بن عثمان بن قنبر الحاثي بالولاء أبو بشر الملقب سيبويه (ت: ١٨٠هـ) تح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، ط٣، القاهرة، ١٤٠٨هـ، ص: ٦/٢.

(٢) ينظر: جامع الدروس العربية (مرجع سابق)، ص: ١٢٤/١.

(٣) سورة النساء: الآية ١١.

(٤) ينظر: أمالي ابن الحاجب، أبو عمرو عثمان بن عمر جمال الدين ابن الحاجب المالكي (٦٤٦هـ)، تح: د. فخر صالح سليمان قدارة، دار عمان، الأردن، دار الجيل بيروت، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م، ص: ١١٨/١.

٣- وأن يعود على أقرب مذكور – كما ذكرنا- نحو: لقيت زيدا وعمرا يضحك، فالضمير المستتر في (يضحك) يعود على (عمرو) ما لم تكن قرينة تصرفه إلى غير الأقرب (زيد)[١].

٤- وأن يعود الضمير على المضاف، نحو قوله نعالى:﴿ وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿١٨﴾ ﴾[٢]. إلا أن تكون هناك قرينة تصرفه إلى المضاف إليه كما في قوله تعالى:﴿ أَسۡبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُۥ كَٰذِبٗاۚ وَكَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِفِرۡعَوۡنَ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ وَصُدَّ عَنِ ٱلسَّبِيلِۚ وَمَا كَيۡدُ فِرۡعَوۡنَ إِلَّا فِي تَبَابٖ ﴿٣٧﴾ ﴾[٣]. **فالضمير المستتر في الفعل (أظنه) يعود على المضاف إليه (موسى)** [٤].

كما تعد الضمائر – وهي أشهر نوع من الكلمات الكنائية (بجانب الموصولات وأسماء الإشارة)- من أهم وسائل الاتساق النصية البارزة والمهمة ضمن الإحالة الداخلية أو النصية والخارجية كونها تربط أجزاء النص المختلفة شكليا ودلاليا، داخليا وخارجيا، سابقا ولاحقا[٥].

(١) ينظر: التذييل والتكميل في شرح كتاب التسهيل، أبو حيان الأندلسي، تح: د. حسن هنداوي، دار القلم، دمشق، ط١، ص: ٢٥٢/٢، و معاني النحو (مرجع سابق)، ص: ٦٣/١.

(٢) سورة النحل: ١٨.

(٣) سورة غافر: ٣٧.

(٤) ينظر: معاني النحو (مرجع سابق)، ص: ٦٣/١.

(٥) ينظر: عود الضمير وأثره في تحقيق الاتساق النصي في أمالي الزجاجي ـن:٣٣٧ هـ) دراسة سياقية نصية، باسل محمد محيي الدين، مجلة الأستاذ للعلوم الإنسانية والاجتماعية، مجلد (٦٠) العدد (٤)، لسنة ٢٠٢١م- ١٤٤٣هـ، ص: ٥٤.

وبعبارة أخرى يمكننا القول إن أهمية الضمائر في تحقيق الاتساق النصي إنما هي نابعة من نيابتها عن الأسماء والأفعال والعبارات والجمل، وكذا عن ربطها أجزاء النص المختلفة ربطا شكليا ودلاليا من شأنه تحويل هذه الأجزاء إلى كل متكامل ملتحم غير مشتت.

ولا يعوِّل النصيون كثيرا على ضمائر التكلم والخطاب في آلية الاتساق النصي؛ لأنها تحيل إلى عناصر خارج النص، أما ضمائر الغائب فهي مُعَوَّلُهم الأساسي كونها تحيل– في الغالب– إلى عناصر داخل النص، وتكون إحالة نصية، وهو ما يدفع المتلقي إلى البحث عن مرجعيتها، فتؤدي – بذلك– دورا مهما في تماسك النص واتساقه(١). وهذا لا يقلل من شأن النوعين الأولين – ضمائر والتكلم والمخاطب– اللذين يفتقران كذلك إلى متكلم ومخاطب على الترتيب، فهما بمنزلة المرجع شأنهما شأن مرجع ضمير الغائب (مرجعه المذكور)؛ ومن ثم يرى الباحث فاعليتهما جنبا إلى جنب مع ضمائر الغائب في إحداث الاتساق النصي.

ويجب أن نشير إلى أن الضمائر لا تقتصر على ضمائر والمتكلم المخاطب والغائب؛ بل تتعداها إلى ضمائر الإشارة والأسماء الموصولة، فهما يقومان مقام الضمائر من حيث الإشارة المرجعية والربط، غير أن هذه الدراسة ستقتصر على الضمائر بمفهومها الشائع دون أسماء الإشارة والأسماء الموصولة.

(١) ينظر: لسانيات النص (مرجع سابق)، ص: ١٨، والإحالة في نحو النص: دراسة في الدلالة الوظيفية، بحث في كتاب المؤتمر الثالث للعربية والدراسات النحوية (العربية بين نحو الجملة ونحو النص)، كلية دار العلوم– جامعة القاهرة– ٢٠٠٥، ص: ٥٣٣.

المبحث الثاني التطبيقي

التحليل النصي

لقصيدة (الغاوي الذي استرشد) [١]

وهي قصيدة مكونة من ستة مقاطع يتحدث فيها محمد حسن فقي عن رحلته من الغي إلى الرشاد، ومن الظلمات إلى النور.

المقطع الأول

السَّمـــــاواتُ والأراضـــي تُـــطِلاَّ ... نِ على الآبِقِ الذي يُرِيـدُ الصَّـلاةَ![٢]

شَهِـــدا دَمْعَهُ وهَوْلَ لَيالِيـــــــــــ ... ـه وأنّـــاتِهِ بِـــها والشَّكـــــــاةَ!

فاسْتراحـــــا إليـــــه قلبـــا جَرِيحـًا ... قـارَفَ الإثْمَ صَحْوَةٌ وسُبـــــــاتـا!

واسْتفـاقَ الأثِيـمُ فاجْتاحَهُ الخَـــوْ ... فُ فقالا لـه: سَتَلْقى النَّجـــــاةَ!

بـاديء ذي بـدء يمثـل العنـوان (الغـاوي الـذي استرشـد) نمطـا مـن أنمـاط الإحالة البعدية؛ إذ يحيل إلى لاحق وهو مضمون القصيدة.

بلـغ عـدد الضـمائر فـي هـذا المقطـع خمسـة عشـر ضـميرًا، واحـد فقـط للمخاطب، وأربعة عشر للغائب، على حين اختفى تمامًا ضمير المتكلم.

وتنوعـت هـذه الضـمائر مـا بـين ظـاهرة كمـا فـي: (تطـلان – شـهدا – فاستراحا – دمعه – هول لياليه)، ومستترة كما في: (يريد – قارف – ستلقى)،

(١) انظر: الأعمال الشعرية الكاملة، محمد جسن فقي،المجلد التاسع، الناشر عبد المقصود محمد سعيد خوجة، جدة، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ- ١٩٩٦م، المجلد التاسع، ص: ١٢٥ وما بعدها، وكذا على الشبكة المعلوماتية، الموسوعة الشعرية، قصيدة رقم ٦٦٠٤٠.

(٢) يوجد بالشطر الثاني كسر؛ حيث لم يأت ثلاثيا آخره (فاعلاتن) أو إحدى مشتقاتها، وإنما جاء الشطر رباعيا: فعلاتن/ متفعلن/ فعولن/ فعولن.

وكان مرجع الضمير في أغلبها هو (الآبق والأثيم) وصفا لكل إنسانٍ عاصٍ أرهقته المعصية وأضناه البعد عن الله، إلى أن أبصرته السماوات والأرض (المرجع الآخر للضمائر)، ملقيتين إليه طوق النجاة من هذا الغي والضلال.

وقد كانت جميع الإحالات داخلية قبلية خلا الإحالة بضمير المخاطب فهي إشارية، وتراوحت ما بين القصيرة و المتوسطة، بما يُحدِث خطًا تواصليًا بين طرفي الإحالة.

كما أدت الضمائر – وهي الأصل في الربط– وظائفها الربطية التي عملت على التماسك النصي للقصيدة عن طريق الربط بين أجزاء الجملة؛ فتارة ربطت بين المبتدأ والخبر، وهما عنصران إسناديّان لابد لهما من رابط إذا كان المسند جملة فعلية[1]، كما في: (السماوات و الأراضي تطلان .. شهدا)، حيث وقعت جملتا (تطلان– شهدا) خبرين متعاقبين متعددين – والتعاقب والتعدد من وسائل إطالة الجملة العربية وهذا يزيد من احتياجها إلى رابط– لمسند إليه واحد مستطيل بالعطف بالواو (السماوات والأرض)، ولم يكن ثمة تطابق في النوع في الخبر الثاني (شهدا) للضرورة الشعرية؛ حيث تشير ألف الاثنين إلى مثنى مذكر في حين كان مرجعهما مؤنثين.

(١) وقد عد ابن هشام روابط جملة الخبر عشرة: الضمير، الإشارة، إعادة المبتدأ بلفظه، إعادة المبتدا بمعناه، عموم يشمل المبتدأ، أن يعطف بفاء السببية جملة ذات ضمير على جملة خالية منه أو العكس، العطف بالواو، شرط أن يشتمل على ضمير مدلول على جوابه بالخبر، = (أل) النائبة عن الضمير، أن يكون معنى الجملة هو ذاته معنى المبتدأ. ينظر تفصيلها في: مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، ابن هشام جمال الدين بن يوسف (٧٠٨–٧٦١ هـ)، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت، لبنان، د.ط، ٢٠٠٥م، ص:٢/ ٥٧٣ وما بعدها.

ومن الممكن كذلك أن تعد جملة (شهدا) حالية دون اختلاف في مرجعية الضمير. وحتى لا تنفصل الحال عن صاحبها لابد لها من رابط يربطها به، وهذا الرابط إما أن يكون الواو أو الضمير أو كليهما(١). والرابط هنا هو الضمير البارز المتصل (ألف الاثنين).

وتارة أخرى ربطت الضمائر المستترة بين الموصول وصلته (الذي يريد) والتقدير: الذي يريده هو؛ فالموصول يفتقر إلى صلة لإزالة الإبهام عنه، وهي التي تحدد مدلول الموصول الاسمي وتجعله واضح المعنى، ولابد لها من رابط، وغالبا ما يكون هذا الرابط ضميرا يعود على الاسم الموصول(٢). وهذا الضمير إما أن يكون مذكورا كما في قوله – تعالى– : " وما عملته أيديهم" {يس: ٣٥}، وإما أن يكون مقدرا كما في قوله – تعالى – : "أيهم أشد" {مريم: ٦٩}، والتقدير: أيهم هو أشد(٣).

وقد خرج هذا الربط عن النطاق الجُمَلي ممتدًا إلى النطاق المقطعيّ كما في: (فقالا له) التي جاءت في آخر المقطع مُشكِّلة بنية حوارية طرفاها ضمير المثنى (السماوات والأرض) وضمير المفرد.

*****

(١) ينظر: الأشباه والنظائر في النحو، لعبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد بن سابق الدين الخضيري جلال الدين لسيوطي، مجمع اللغة العربية بدمشق، تحقيق: عبد الإله نبهان– غازي مختار طليمات– إبراهيم محمد عبد الله– أحمد مختار الشريف، ١٤٠٧هـ– ١٩٨٧م، ص: ٢٤٨/١.

(٢) ينظر: المقتضب (مرجع سابق)، ص: ١٢٣/٤.

(٣) ينظر: مغني اللبيب (مرجع سابق)، ص: ٥٧٩/٢.

المقطع الثاني

يـا سمـائي لـقـدْ كَـرُمْـتِ ويـا أَرْ ... ضي لقدْ كُنتُما الرُّعاةَ الأُســـاةَ!
أنا أَشْقـى بمـا لَقِيـتُ.. فهـل أَسْـ ... ـعـدُ يَوْمًا إذا غَدوْتُ رُفـــاتا؟!
أَفَيَغْدُو الأُجـاجُ في عـالَمِ الغَيْـ ... ـبِ إذا مَسَّهُ الكريمُ فُـــراتا؟!
لَسْـتُ باليائِسِ القَـنُوطِ من الرحـ ... ـمَةِ حـتىَّ ولو بَـزَزْتُ الجُنـاةَ!
إن في التَّـوْبِ مـا يَـرُدُّ الخطايـا ... خـاسِـئاتٍ وإنْ يَكُـنَّ عُـتاةَ!
أنا هـذا الأَثِيـمُ يـا رَبُّ.. تَشَتَّـت (م) مَـليًّا.. فَلُـمَّ هـذا الشَّتـاتا!
وارْعَـهُ بَعْـد أَنْ تَقَدَّمَ في السِّـنِّ (م) وأَمْسـى مِـن السِّنِيـنِ فُتـاتا!

*****

أعلن الشاعر عن نفسه بقوة؛ حيث ظهر ضمير المتكلم (الذات المفردة) بعدما توارى في بنية الخطاب في المقطع السابق. وقد وصل إجمالي عدد ضمائر هذا المقطع إلى أربعة و ثلاثين ضميرًا موزعةً على النحو التالي: ستة عشر ضميرًا للمتكلم، وأحد عشر للغائب، وسبعة ضمائر للمخاطب.

وتعددت كذلك مابين **ظاهرة مثل:** (متصلة كانت أو منفصلة) كما في: (سمائي- كرمت- أرضي – أنا- لقيت- غدوت – كنتما – مسَّه – لست- بززت- يكنَّ- أنا- تشتت- وارعه-...) **ومستترة** مثل: (أشقى – أسعد – فلمَّ – الأجاج- الكريم- فراتا- اليائس- القنوط- الجناة- يرد- خاسئات- عتاة- الأثيم- تقدم- أمسى-...).

وعلى حين توحدت مرجعية ضمائر المتكلم وأشارت جميعها إلى الشاعر (الآبق الأثيم)، أو أي إنسان مرَّ بمثل هذه التجربة نجدها تعددت في الغائب: (الأجاج- الخطايا – عالم الغيب- ما الموصولة – الأثيم- الصفح-...)، وترددت أيضا في المخاطب ما بين: (السماء والأرض- السماء وحدها- الأرض وحدها- رب-...). والملاحظ أن جميعها يفسَّر بالعناية الإلهية؛ أي من الممكن عدها موحدة المرجع، وهو ما يعكس هيمنة الضمائر العائدة على محورَي النص: العناية الإلهية من جهة والإنسان العاصي من جهة أخرى.

وترجع الكثرة المفاجئة لضمير الذات الفردية المتكلمة الذي توارى تمامًا في المقطع السابق – كما ذكرت – إلى عودة الروح المفقودة التي أنهكتها الذنوب والآثام بعدما بشرته العناية الإلهية (السماوات و الأرض) في نهاية المقطع السابق ومنيتَّاه بالنجاة من هذا الظلام، وهو ما أطلق العنان للِسان تلك الذات للبوح بما داخلها من آلام وآمال، راجية الصفح و لمَّ الشتات بعدما هرم وثنته سنون المعاصي العجاف.

وفي الوقت الذي هيمنت الإحالة الداخلية القبلية على المقطع السابق يتكرر الأمر كذلك في هذا المقطع جزئيًا كما في بعض ضمائر الغيبية، مثل: هاء الغائب في (مسَّه) ومرجعه (الأجاج) المذكور سابقًا، والضمير المستتر في الفعل (يردُّ) عائداً على (التقرُّب) المذكور كذلك سابقًا. كل هذا يعدُّ من الإحالة الداخلية القبلية الصريحة، فيكرر هذا مع تحوُّل في ضمير الغائب (هو) إلى ضمير المتكلم (أنا) الذي معه تستحيل الإحالة إلى إشارية بعدما كانت عائدية؛ حيث تشير (أنا) إلى ذات الشاعر، ومن ثم يظهر نمط آخر للإحالة ألا وهو الإحالة الخارجية (المقامية وهذا النوع من الإحالة على الرغم من أنه لا يسهم في الاندماج المقطعي للنص إلاَّ أنه يسهم في إنتاج النص، كونه يربط اللغة بسياق الموقف.[١]

وقامت الإحالات كذلك بدورها التركيبي في الربط الجملي؛ حيث قامت بالربط بين المبتدأ والخبر كما في قول الشاعر: (أنا أشقى)، أو بين الحال وصاحبها كما في قوله: (أنا هذا الأثيم يا رب .. تشتت)[٢]. ولا شك أن هذا الربط يزيد من تماسك النص وتلاحمه.

*****

(١) ينظر: Cohesion in English نقلاً عن لسانيات النص، ص: ١٢٤.

(٢) ويجوز كذلك أن تكون جملة (تشتت) خبرًا ثانيًا.

المقطع الثالث

وَيْـحَ نَـفْسـي فـقـد شَعُـرْتُ بِـأَنِّي ... بعـد أَنْ تُبْـتُ قـد بُعِثْتُ جَدِيدا!
فَـرَأَيْتُ النّـورَ الـوَضـيءَ يُغَـشِّيـ ... ـني وقـدْ عِشْتُ في الظَّلامِ مَـدِيدا!
ورَأَيْـتُ الأَخْيـارَ حَـوْلي يـقـولـو ... ن تَقَـدَّمْ ولا تَكُـنْ رِعْـدِيـــــدا..!
أَنْتَ مِنّا أَصْبَحْـتَ فاسْعَـدْ بِلُقْيـا ... نا فقد كُنْتَ عن المَكْرِ هذا بعيـدا![1]
وَدِّعِ الأَمْسَ يـا شَـقِـيُّ فـقـد كـا ... ن على قَلْبِكَ الضَّـلُـولِ مُرِيـــدا!
ولـقـد كنْـتَ رَغْـمَ هَـوْلِ خَطايـا ... كَ ذَكِيًّا لكِـنْ عَـتِيًّا عَنِيـــــدا!
فَتَـوَغَّلْـتَ في الأَثَامِ وأَسْـرَفْـــــ ... ـت ولم تُبْـقِ للرُّجُـوعِ رَصِيـــــدا!
وحَسِبْناكَ لـن تَعُودَ إلى الرُّشْـــــ ... ـد فإنَّ الـغيَّان يَجفـو الرَّشِيـــــدا!
ثم شاءَ الرَّحْمـانُ.. جَلَّتْ أَيـادِيـــ ... ـه عَلَيْنا.. عَيْشًا عَلَيْكَ رغِيـــدا!
سَبِّـح الـلـهَ مـا اسْتَطَعْتَ فقـد كـا ... نَ رَؤُوفًا حَبـاكَ صَفْحًا مَجِيـــدا!
وتَطَلَّعْتُ لِلسَّمـاءِ وأجْـهَـشْـــــ ... ـتُ فقدْ كنْـتُ للرَّحِيـمِ وَدِيـــدا!
لم يَـدَعْني أَفِيـقُ مـن سكْـرَةِ الغَـيِّ (م) وأَمْـسَيْـتُ في يَدَيْـهِ حَصِيـــــدا!

*****

ترددت ضمائر التكلُّم خمسًا وعشرين مرة مقابل عشرين مرة لضمائر الخطاب وست عشرة مرة لضمائر الغيبة.

ظاهرة كما في: (نفسي –شعرت– بأني– تبتُ –بعثت– أنت – قلبك – يقولون – أياديه–...)، **ومستترة** مثل: (جديدًا –الوضيء– تقدَّم– فأسعد– بعيدا–تبق– ذكيا– عتيا–سبح – كان– يجفو–...).

وقد تنوعت الإحالات ما بين خارجية مقامية ممثلة في ضمائر التكلم والمخاطب، وبين نصية قبيلة ممثلة في ضمائر الغائب.

(١) يوجد بالشطر الثاني كسر.

وقد انحصرت مرجعية ضمائر التكلُّم في مجملها في ذات الشاعر؛ مما يؤكد عودة الروح إلى الشاعر الذي بدا أكثر قوة من ذي قبل، كما بدا عنصرًا فاعلاً مؤثراً بدليل وقوع ضمائر تلك الذات مسندًا إليها في معظم المواضع: (شعرتُ– بأني – تبتُ – بعثت – عشت –رأيت– أبت– أفيق–أمسيت–) – إلاّ في مواضع قليلة وقع فيها مفعولاً به (يغشيني – لم يدعني)، أو مضافا إليه كما في: (نفسي– حولي)–. وهذا الإسناد النحوي يدل على قوة الشاعر وتأثيره في الأحداث بوصفه طرفًا محوريًا فيها، وهو ما يؤكده توحُّد مرجعية ضمائر الخطاب: (تقدم– ولا تكن– أصبحتَ– فاسعد– كنتَ– ودع– قلبك– خطاياك– ذكيا– ...) التي تشير كذلك إليه: تارة في مقام التذكير بغيِّه وضلاله، وتارات في مقام الحثِّ والاستنهاض للسير في طريق الهدى والرشاد. أما ضمائر الغيبة فكثرت مرجعيتها بما يسعه فضاء النص وأحداثه مثل: (النور – الأخيار – الغيَّان) إلاّ أن الغالب عودتها على لفظ الجلالة (الله) أو غيره من أسمائه – سبحانه وتعالى– مثل: (الرحمن) في مقام التذكير بآلائه سبحانه و تعالى.

وكان أبرز مواضع الربط الجملي بين طرفي الإسناد (إني قد بعثت – أنت منا)، وكذلك بين الحال وصاحبها: (ورأيت الأخيار حولي يقولون). وهذا الربط فضلاً عن ضلوعه في الصحة النحوية والتركيبية للنص نرى أثره في دعم التلاحم بين أجزاء النص ككل وإزالة أي غموض محتمل.

*****

المقطع الرابع

ثُمَّ أَغْضَيْتُ مِن حياءٍ ومن خَوْ ... فٍ فقد كنْتُ سادِراً في حَياتي!
كنْتُ فيها الظَّلُومَ لِلْفِكرِ والحِسِّ (م) وكانا في النَّائِباتِ شَباتي!
يا لَوَيْلي مِن الغَباءِ فقد كنْـ ... ـتُ بَلِيدا في صَحْوتي وسُباتِي!
كيف هذا؟! وكانَ أَهْلي يَظُنُّو ... نَ بأنِّي الهُدى. وكانَ لِداتي!؟

*****

واصلت ضمائر التكلم هيمنتها في هذا المقطع القصير؛ إذ بلغت أربعة عشر ضميرا: (أغضيتُ- كنتُ- سادرا- كنتُ- الظلوم- شباتي- لويلي-كنتُ- بليدا-صحوتي- سباتي-أهلي-بأني-لداتي)، تلاها ضمائر الغيبة (أربعة ضمائر): (كانا- النائبات- يظنون- كان)، في حين انعدمت ضمائر الخطاب، ويرجع هذا إلى الطبيعة الاعترافية للمشهد، فالشاعر (وهو المشار إليه الوحيد لضمير المتكلم) في لحظة إقرار بما اقترف من آثام منفردا دون مكابرة أو جدال، ومن ثمّ كان انعدام ضمائر الخطاب منطقيًا.

وقد كانت جميع إحالات ضمير المتكلم خارجية (مقامية) تشير إلى (الشاعر)، في حين جاءت جميع إحالات ضمائر الغيبة داخلية قبلية تنوع مرجعها ما بين: (الفكر والحس- النائبات- الهدى).

وكان أبرز مواضع الربط الجملي إسناديًا بين اسم كان وخبرها: (كنت ... سادراً – كنت ... الظلوم – ...)، وهو ما يتلاءم وتقنية الحكي أو السرد الشعري تلك التي يكثر فيها الاتكاء على فعل الكينونة في زمن الماضي، وهذا لا شك يزيد من التماسك النصِّي والدلالي على حدٍ سواء.

*****

المقطع الخامس

ظاهري كـانَ يَبْـدو قَـويمًا رشيـدًا ... حِينما كانَ باطِني الصَّدِي يتَرَدَّى![1]

لَيْتَـهُمْ أَبْـصَرُوا العَمِـيَّ الـذي ظَـلَّ (م) خِـداعاً بـقِـاعِـهِ يَـتَـدَهْـدى!

آهِ لـو بِـنْتُ لِـلـعُيُـونِ فـلاقَيْـ ... ـتُ ازْدِراءً من الـعُـيُـونِ وصَـدَّا!

إنَّ هـذا الرِّياءَ.. كُبْـرى الخَـطِيـئا ... تِ أَحـالَ الذَّمَّ المُـدَمِّـرَ حَمـْدا!

يـا إلهـي. لقـد شَـقِـيـتُ وأَشْـقَيْـ ... ـتُ فـأَبْدَلْتَ شقـوتي مِنْكَ سَعْـدا!

أنـا فَـرْدٌ مِـن الـغُـواةِ.. ومـا عُـدْ ... ـتُ بِـغُـفْـرانِـكَ المُـعَـزِّزِ.. فـرْدا!

أنـا عَبْـدٌ مِـنْهُـمْ أَنـابَ فَـأَمْـسى ... يـتَبـاهى بِـكَـوْنِـهِ بـكَ عَبْـدا!

*****

للمرة الأولى تتصدَّرُ ضمائر الغيبة المشهد، حيث بلغت عشرين ضميرا، مقابل اثني عشر ضميرا للمتكلم، وأربعة فقط للمخاطب.

وقد بلغ عدد الضمائر الظاهرة (ثمانية عشر) ضميرا متساوية مع نظيرتها المستترة.

وقد تنوعت الإحالات ما بين خارجية مقامية ممثلة في ضمائر التكلم، مثل: (ظاهري- بنتُ- فلاقيتُ- إلهي- شقيتُ- وأشقيتُ- شقوتي- وأنا- عبد- ...) وضمائر الخطاب، مثل: (فأبدلتَ- منكَ- بغفرانكَ- لكَ)، وبين نصية قبلية ممثلة في ضمائر الغائب، مثل: (كان- يبدو- قويما- يتردى-ليتهم- ظلَّ- بقاعه- منهم- فأمسى- عبدا (الشاعر نفسه)-...).

وقد تعددت مرجعيات ضمائر الغيبة ما بين: (ظاهر الشاعر- باطن الشاعر- الرياء- غفرانك- ...) وكلها إحالات قبلية قريبة، في حين كان المرجع (الأخيار) في قوله: (ليتهم- منهم) مُشكِّلا إحالة قبلية بعيدة خارجا على النسق

(١) يوجد بالشطر الأول والثاني كسر.

الإحالي القريب. أما مرجعية ضمائر الخطاب فقد آلت جميعا إلى (الله – سبحانه وتعالى–)، في حين آلت ضمائر التكلم كلها إلى الشاعر نفسه مُشَكِّلَةً نمطا حواريا ثنائيّا طرفاه – كما ذكرت – (الله – الشاعر).

وتعددت أنماط الربط الجملي ما بين طرفي الإسناد (كان يبدو)، (كان باطني ... يتردَّى)، (إن هذا الرياء أحال الذمَّ المدمّر حمدا)، (ليتهم أبصروا)، وبين الموصول وصلته: (الذي ظلَّ خداعا)، وبين الصفة والموصوف: (أنا عبد منهم أناب). ولا شك أن هذا الربط له أثر واضح في الربط النصي و الدلالي على حدٍ سواء.

*****

المقطع السادس

بَـيْنَ عَـهْـدٍ مَـضـى.. وعَـهْـدٍ جَـدِيـدٍ بَيْنَ عَهْدِ الدُّجى وعَهْدِ الضِّيـاءِ!

عُدْتُ ما أَشْتَهي سوى المَجْدِ ما يَهْـ ـدفُ إلاَّ لِنُصْـرَةِ الضّعَـفـــاءِ!

عُدْتُ ما أَشْتَهي سِوى المالِ ما يَهْـ ـدفُ إلاَّ لِخِـدْمَـةِ الفُـقَـــــراءِ!

عُدْتُ ما أَشْتَهي سوى الصّفْح مَهما نالَـنـي من ضراوة الخُـصَـمـاءِ!

فَلَعَـلِّي يـوم الحِسابِ أَرى العَـفْـ ـوَ فَـأَغْـدو بِـه مِـن الـسُّعـداءِ!

*****

بلغ عدد ضمائر التكلم عشرة ضمائر، مقابل تسعة ضمائر للغائب، في حين انعدمت ضمائر الخطاب.

منها أربعة عشر ضميرا مستترا كما في: (أشتهي (وقد تكرر ثلاث مرات)– أرى – أغدو– مضى– جديد– يهدف– الضعفاء– الفقراء– الخصماء– ...) وخمسة ظاهرة: (عدت (وقد تكررت ثلاث مرات) – فلعلي – نالني)، وكان الشاعر هو المشار إليه الأوحد من ضمائر الذات المتكلمة، في حين ترددت مرجعيات ضمائر الغائب بين: (العهد – المجد – المال – العفو). وقد

عُدَّتْ جميع إحالات ضمائر الغيبة داخلية قبلية في مقابل الإحالة الخارجية لضمائر التكلم .

أما عن الربط الجملي فقد تمثَّل في الربط بين الصفة والموصوف: (عهد مضى – عهد جديد (هو))، وكذلك: (المجد ما يهدف إلا لنصرة الضعفاء)، وكذلك: (سوى المال يهدف إلا لخدمة الفقراء)[١].

ويلاحظ أن هذه النعوت هي نقاط التحوّل الفعلي بين الحال والمآل.. بين عهد الظلام والمعاصي الذي مضى، وعهد الضياء الذي حلَّ. وقد عمد الشاعر إلى توكيد هذا المعنى بالقصر أو عن طريق النفي والاستثناء والتكرار (الذي هو من وسائل الإحالة كذلك)، متمثلا هذا في تكرار: (عدت ما أشتهي سوى) التي تكررت ثلاث مرات مؤذنة بعهد جديد.

وقد قوَّى من الربط الإحالي تكرار البنى النحوية واللفظية في الأبيات الثاني والثالث (على نحو تام):

نمط البناء النحوي التام للبيتين الثاني والثالث

عدتُ + **ما أشتهي** + **سوى** (مضاف إليه)+ إلا حرف جر(مضاف على وزن (فُعلة)+ مضاف إليه على وزن (الفعلاء)

والبيت الرابع (بصورة ناقصة):

نمط البناء النحوي الناقص للبيت الرابع

عدتُ + **ما أشتهي** + **سوى** (مضاف إليه)+ مهما + فعل ماض + مفعول به+ من (مضاف) + مضاف إليه على وزن (الفعلاء)

(١) ال في المال (جنسية) وما بعدها نعت.

مشكلا ما يطلق عليه مصطلح التوازي التركيبي، وهو نمط من أنماط التكرار تزيد النص تماسكا وتلاحما.

*****

تعليق على القصيدة

- بلغت ضمائر التكلم (الذات المفردة) في القصيدة سبعة وسبعين ضميرا، وضمائر الغائب أربعة وسبعين ضميرا، وضمائر المخاطب اثنين وثلاثين ضميرا.
- وكانت مرجعية ضمائر التكلم في الغالب هي الشاعر، وتنوعت في النوعين الآخرين.
- يمثل العنوان (الغاوي الذي استرشد) نمطا من أنماط الإحالة البعدية؛ إذ يحيل إلى لاحق وهو مضمون القصيدة.
- تنوعت صورة الإحالة الضميرية ما بين: إشارية كما الحال في ضمائر التكلُّم والخطاب، وعائدية كما في ضمائر الغيبة.
- من حيث المد الخطي بين ضمائر الغائب وعوائدها تفاوتت الإحالة مابين قريبة ومتوسطة، وجاءت بعيدة مرة واحدة.
- جاءت الإحالات في معظمها قبلية؛ خلا النذر اليسير جدا.
- في بعض المقاطع ارتكز محمد حسن فقي على تكنيك التحوَّل الضمائري أو التجريد، وهو ما بدا جليا في المقطع الثاني؛ حيث تحوَّل من ضمير الغائب (هو) ومرجعه (الآبق ، الأثيم) إلى (أنا) التي تشير إلى ذاته، وهو وما ترتب عليه اختلاف نوع الإحالة من عائدية مرجعُها داخل النص (الآبق / الأثيم) إلى إحالة إشارية طرفها الأول خارج النص (ذات الشاعر). ونحن لا يمكننا الانفصال عن مقام (سياق) القصيدة (رحلة الغي

والرشاد) ولا نستطيع تفسير مرجعية الضمير (أنا) بصوره المختلفة دون الرجوع إليه[١]. وهنا سؤالٌ يفرضُ نفسه: هل (أنا) في هذه القصيدة ينحصر تفسيرها في الشاعر؟ أو بعبارة أُخرى لا يؤول مرجع هذا الضمير إلا إلى (ذات الشاعر)؟.

يرى جون كوين أن مرجع ضمير الذات ليس إلى كاتبها؛ فالقصيدة ليست اعترافات عاطفية، ولا هي تسجيل للحالات النفسية لفرد ما[٢]. وهذا الرأي يتفق معه رأي الدكتور صلاح فضل، إذ يرى أن هناك صوتين في القصيدة: ذات الشاعر في فضائها الخاص، وصوت القصيدة بوصفها كائنًا أدبيًا منفصلاً [٣].

والذي أميل إليه أن الصوت المعبّر عن ذات الشاعر لا يتنافى مع صوت القصيدة الذي من الممكن أن يصدق على الشاعر وغيره، فالضلال شَرَك لا يستعصي على شاعرنا (محمد حسن فقي) أو غيره، بل ربما كان الشاعر براء من الوقوع في براثنه، وإنما حاول فقط بث هذه التجربة الافتراضية معبِّرًا بها عن المتلقي وكل إنسان، وهنا تستحيل الذات إلى الغائب والمخاطب كذلك.

وهو ما يؤكده الشاعر بنفسه حين يقول:

أنا فـردٌ من الغـواة وما عدْ ت بغفـرانك المعزِّز فـردا

أنـا عبـد منهم أناب فأمسى يتـباهى بكـونه لـك عبـدا

(١) ينظر: Cohesion in English ، نقلا عن الإحالة دراسة نظرية ص : ١١٨

(٢) ينظر: بناء لغة الشعر، جون كوين، ترجمة وتعليق وتقديم: د. أحمد درويش، مكتبة الزهراء، القاهرة، ١٩٨٥ م، ص : ١٦٠.

(٣) ينظر: قراءة الصورة وصورة القراءة، د. صلاح فضل، دار الشروق للنشر والتوزيع، ١٩٩٧م. ص : ١٧٥.

وهذا ما يؤيد فكرة تعاور مدلولات الضمائر، حيث يكثر أن يدل الضمير (هو) على الغائب والمخاطب، وهو ما تردد على لسان محمد حسن فقي حيث قال:

السماواتُ و الأرضُ تطلانِ على الآبقِ الذي يريدُ الصلاةَ
شهدا دمعـَهُ وَهَـوْلَ لياليـهِ و أنَّـاتِهِ بهـــا و الشـكـاةَ
استراحــا إليـه قلبـًا جريحـًا قارفَ الإثمَ صحوةً وسُـبـاتـا
واستفــاقَ الأثيمُ فاجتاحَهُ الخوفُ فقالا له ستـــلقى النجاةَ

فضمائر الغائب المستترة و الظاهرة في قوله: (يريد – دمعه – لياليه – أناته – إليه – فاجتاحه – له) تدعم فكرة التعاور حتى ليقع القارئ في حيرة: هل الأصل في التجربة هو ذات الشاعر؟ أم شخصٌ آخر؟ أم هي تجربة عامة ربما مرَّ بها الكثيرون، ثمَّ التفت عن صاحب التجربة بالضمير المناظِر ؟.

والذي أميل إليه أن ذاتية التجربة هنا حقيقية وأنها الأصل، ومرد هذا عدة أمور:

١–أن الغواية والتخبُّط ثم الرشاد أمر عام قد يطال الشاعر وغيره.

٢–هيمنة ضمير المتكلم على النص بصورة كبيرة جدًا تفوق استعمال ضمير الغائب العائد على (الآبق / الأثيم).

٣–ربما كان إيثار محمد حسن فقي استعمال ضمير الغائب أولا تحقيرًا لذاته العاصية الغافلة آنذاك لتتشاكل هذه الغيبة الضمائرية مع غيبته عن حياة الرشاد والهداية، فكأنما يشعر بغربة بينه وبين نفسه، وكأنما يتمنى لو كان هذا العاصي شخصا آخر وليس نفس الشاعر التي بين أضلعه.

٤– تأكيد الإحالة باسم الإشارة، كما في قوله :

أنا هذا الأثيم يا رب .. تشتتُّ مليا فلْمَّ هذا الشتاتا

فتأكيد صورة الإحالة بالإشارة القريبة يؤكد بدرجة كبيرة أن التجربة ذاتية وأن الشاعر هو صاحبها، وهو ما يدعمه كذلك استخدام أسلوب القصر الماثل في تعريف طرفي الإسناد الضمير (أنا) و الإشارة (هذا).

واجتماع الإحالات واردٌ في النصوص، والقرآن أصدقها كما في قوله – تعالى: " أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين " [١]. حيث وردت الإحالة أولا في هذا السياق الذي يشبه سياق القصيدة باسم الإشارة (أولئك) إشارة إلى مَنْ آمن بلسانه دون قلبه، وما أعقبها من صفات تدل على شدة مرض قلوبهم، ثم تكررت الإحالة بالاسم الموصول (الذين) الذي أكَّد شدة غوايتهم وانفرادهم ببيع الهدى وشراء الضلالة. وهذا ما ذهب إليه صاحب (التحرير والتنوير): " والموصول في قوله: (الذين اشتروا) بمعنى المعرَّف بلام الجنس فيفيد التركيب قصر المسند على المسند إليه، وهو قصر ادعائي باعتبار أنهم بلغوا الغاية في اشتراء الضلالة والحرص عليها، إذ جمعوا الكفر، والسفه، والخداع، والإفساد، والاستهزاء بالمهتدين " [٢].

- قامت الضمائر بدورها الربطي بين الجمل ابتداء، وكان أكثر الصور شيوعًا بين: المبتدأ والخبر، الموصوف والصفة، الحال وصاحبها، الموصول وصلته، وليس يخفى أن هذا الربط الجملي وسيلة هامة جدا في إحداث نوع من التماسك النصي و الدلالي بشكل كبير.
- لم يخل النص من وسائل أخرى للإحالة؛ حيث وردت على استحياء ممثلة في الموصولات وأسماء الإشارة.

---

(١) البقرة : ١٦.

(٢) التحرير والتنوير، الطاهر محمد بن عاشور، الدار التونسية للنشر، ١٩٨٤م ، ص: ٢٩٩/١ .

أما الموصولات فقد ورد الاسم الموصول المشترك (ما) مرتين، وكذلك المختص (الذي) ورد مرتين، وكانت الإحالة بعدية في ثلاثة مواضع منها، ولا شك أن هذه الموصولات – على قلتها– أسهمت في تماسك النص؛ حيث استلزمت –شأن جميع الموصولات– وجود جمل بعدها، وبهذا تكون قد قامت بربط النسق العام للنص، وأحدثت ربطا بين أجزائه.

وأما أسماء الإشارة فقد وردت خمس مرات على صيغة (هذا)، ومعلوم أنه يفيد الإشارة للمفرد المذكر الدال على القرب، وهو أحد مستويات الإشارة الثلاث. ولا يخفى كذلك دور أسماء الإشارة في الاتساق النصي والترابط بين أجزائه.

الخاتمة

تمخض البحث عن عدة نتائج، أهمها:

- بدا واضحا دور الإحالة البارز في ربط أجزاء النص، بما يحقق الاستمرارية والتماسك للنص.
- تعد الإحالة بالضمائر أكثر وسائل التماسك النصي؛ فهي لا تقل أهمية عن الوسائل الأخرى كالتكرار والحذف والتقديم...؛ بل تعد أقواهن وأكثرهن قدرة على تحقيق الترابط والانسجام للنص؛ محققة ها من خلال الربط بين ما هو لفظي وما هو معنوي.
- قامت الضمائر في قصيدة (الغاوي الذي استرشد) بوظيفتها في إحكام بنية القصيدة – جنبا إلى جنب مع الوسائل الأخرى– حيث أسهمت (قبليا وبعديا) في إيجاد صلة قوية بين العناصر الإشارية اللغوية الموجودة بالقصيدة والعناصر الإشارية غير اللغوية الموجودة خارجها.
- لم تقتصر وظيفة الضمائر على تحقيق الترابط النصي على مستوى القصيدة فحسب؛ بل تعدتها إلى الجانب التفسيري؛ حيث تمكنت من البيان وإزالة اللبس والغموض في العديد من السياقات عبر التعرف على مرجعها ومدي الانسجام المعنوي والتطابق بينهما.
- بدا الالتفات والتجريد عنصرين مهمين من عناصر لفت الانتباه والتشويق وكسر حاجز الرتابة والملل في النص فضلا عن دورهما في تحقيق التماسك التركيبي والدلالي.
- تجلى دور الضمائر بوصفها وسيلة مهمة من وسائل الاختصار والاقتصاد اللغوي.

المصادر والمراجع:

- اتجاهات لغوية معاصرة في تحليل النص، د. سعيد حسن البحيري، مجلة علامات، النادي الأدبي الثقافي، جدة، ج١٠، الجزء ٣٨، ٢٠٠٠م.
- الإحالة في نحو النص: دراسة في الدلالة الوظيفية، بحث في كتاب المؤتمر الثالث للعربية والدراسات النحوية (العربية بين نحو الجملة ونحو النص)، كلية دار العلوم- جامعة القاهرة- ٢٠٠٥م.
- الأشباه والنظائر في النحو، الجلال السيوطي؛ عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد بن سابق الدين الخضيري جلال الدين لسيوطي، مجمع اللغة العربية بدمشق، تحقيق: عبد الإله نبهان- غازي مختار طليمات- إبراهيم محمد عبد الله- أحمد مختار الشريف، ١٤٠٧هـ- ١٩٨٧م.
- الأصول في النحو، لأبي بكر محمد بن سهل بن السراج النحوي البغدادي، (ت٣١٦هـ)، مؤسسة الرسالة، ط٣، ١٤١٧هـ- ١٩٩٦م.
- الأعمال الشعرية الكاملة، محمد جسن فقي، المجلد التاسع، الناشر عبد المقصود محمد سعيد خوجة، جدة، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ- ١٩٩٦م.
- أمالي ابن الحاجب، أبو عمرو عثمان بن عمر جمال الدين ابن الحاجب المالكي (٦٤٦هـ)، تح: د. فخر صالح سليمان قدارة، دار عمان، الأردن، دار الجيل بيروت، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م.
- البديع في البلاغة العربية واللسانيات النصية، د. جميل عبد المجيد، مكتبة لسان العرب، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٦م.
- بناء لغة الشعر، جون كوين، ترجمة وتعليق وتقديم: د. أحمد درويش، مكتبة الزهراء، القاهرة، ١٩٨٥م.
- تاج العروس، محمد بن عبد الرزاق المرتضى الزبيدي، تحقيق علي شيري، دار الفكر، ١٩٩٤م، مادة (سبك).
- التحرير والتنوير، الطاهر محمد بن عاشور، الدار التونسية للنشر، ١٩٨٤م.

- تحليل الخطاب، ج.ب. براون/ ج، يول، ترجمة محمد لطفي الزليطي ومنير التريكي، جامعة الملك سعود– الرياض، ١٩٩٧م.
- التذييل والتكميل في شرح كتاب التسهيل، أبو حيان الأندلسي، تح: د. حسن هنداوي، دار القلم، دمشق، ط١.
- تهذيب اللغة، لأبي منصور محمد بن أحمد الأزهري (ت ٣٧٠هـ). تقديم بقلم عبد السلام هارون، دار القومية العربية للطباعة، ١٣٨٤هـ ١٩٦٤م.
- جامع الدروس العربية، الشيخ مصطفى الغلاييني، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، ط٢٨، ١٤١هـ– ١٩٩٣م.
- الخصائص، لابن جني: تحقيق محمد علي النجار، المكتبة العلمية، القاهرة، د.ت.
- دراسات لغوية تطبيقية في العلاقة بين البنية والدلالة، د. سعيد حسن بحيري، مكتبة زهراء الشرق.
- دراسات لغوية تطبيقية، د. سعيد حسن بحيري، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، ١٩٩٩م.
- شرح الرضي على كافية بن الحاجب، الاستراباذي، تحقيق عبد العال سالم مكرم، عالم الكتب، القاهرة، الطبعة الأولى ٢٠٠٠م.
- شرح التسهيل، جمال الدين محمد بن مالك الأندلسي، (ت٦٧٢هـ)، تحقيق د. عبد الرحمن السيد، ود. المختون، هجر للطباعة والنشر، ط١، ١٤١٠هـ– ١٩٩٠م.
- شرح الكافية الشافية، أبو عبد الله جمال الدين محمد بن عبد الله بن محمد بن مالك الطائي الجياني الشافعي، (ت ٦٧٢هـ)، تحق علي محمد معوض، وعادل أحمد عبد الموجود، منشورات بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٢٠هـ– ٢٠٠٠م.

- شرح المفصل للزمخشري، لموفق الدين أبي البقاء يعيش بن علي بن يعيش الموصلي، (ت٦٤٣هـ)، صحح وعلق عليه مشيخة الأزهر، الطباعة المنيرية، مصر (د.ت)، و(د.ط).
- عود الضمير وأثره في تحقيق الاتساق النصي في أمالي الزجاجي (ت:٣٣٧ هـ) دراسة سياقية نصية، باسل محمد محيي الدين، مجلة الأستاذ للعلوم الإنسانية والاجتماعية، مجلد (٦٠) العدد (٤)، لسنة ٢٠٢١م- ١٤٤٣هـ.
- العين، لأبي عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفرهيدي (ت١٧٥هـ)، تحق: د. مهدي المخزومي، ود. إبراهيم السامرائي. سلسلة المعاجم والفهارس، (د.ت)، و(د.ط).
- في اللسانيات ونحو النص، د. إبراهيم محمود خليل ،عمان، ط٢، ٢٠٠٩م- ١٤٣٠هـ.
- قراءة الصورة وصورة القراءة، د. صلاح فضل، دار الشروق للنشر والتوزيع، ١٩٩٧م.
- الكتاب، عمرو بن عثمان بن قنبر الحاثي بالولاء أبو بشر الملقب سيبويه (ت: ١٨٠هـ) تح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، ط٣، القاهرة، ١٤٠٨هـ.
- الكتاب، لسيبويه (أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر) (ت١٨٠هـ)، تحق: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، ط٣، القاهرة، ١٤٠٨هـ- ١٩٨٨م.
- لسان العرب، أبو الفضل جمال الدين بن منظور، تحقيق أمين محمد عبد الوهاب ومحمد صادق العبيدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٢، ١٩٩٧م. مادة (سبك).
- لسانيات النص- مدخل إلى انسجام الخطاب، محمد خطابي، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط١، ١٩٩١م، ص٢.

- مدخل إلى علم لغة النص: مدخل إلى مشكلات بناء النص، زتسيلاف وأورزيناك، ترجمة وتعليق سعيد حسن بحيري، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ط١، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م.
- معاني النحو، لفاضل صالح السامرائي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، الأردن، ط١، ١٤٢٠هـ- ٢٠٠٠م.
- المعجم الوسيط، إبراهيم أنيس- عبد الحليم منتصر- عطية الصوالحي- محمد خلف الله أحمد، مجمع اللغة العربية- مكتبة الشروق الدولية-٢٠٠٤م، مادة (حبك).
- مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، ابن هشام جمال الدين بن يوسف (٧٠٨-٧٦١ هـ)، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت، لبنان، د.ط، ٢٠٠٥م.
- المقتضب، أبو العباس بن محمد بن يزيد المبرد، (ت ٣٨٥هـ)، تحق محمد عبد الخالق عضيمة، القاهرة ١٤١٥هـ-١٩٩٤م.
- الموقعية في النحو العربي: دراسة سياقية، د. حسين رفعت حسين، الناشر: عالم الكتب، ط١٤٢٨،١هـ- ٢٠٠٥م.
- نتائج الفكر في النحو، أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله السهيلي، (ت٥٨١هـ)، تحقيق أ.د محمد إبراهيم البنا، دار السلام، (د.ط)، (د. ت) .
- نحو أجرومية للنص الشعري، دراسة في قصيدة جاهلية، سعد مصلوح، بحث منشور في مجلة (فصول)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مج١٠، العدد (١) ، ١٩٩١م.
- نحو النص اتجاه جديد في الدرس النحوي، د. أحمد عفيفي، مكتبة زهراء الشرق،٢٠٠١م.
- النحو الوافي، عباس حسن، دار المعارف بمصر، ط٣، (د.ت).

- النحو والفكر والإبداع: دراسة في النص وتوثيقه، ممدوح الرمالي، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٩٨م.
- النص والخطاب والإجراء، تأليف دي بوجراند، ترجمة: د. تمام حسان، عالم الكتب، ط١، ١٤١٨هـ – ١٩٩٨م.
- النص والسياق استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي، فان دايك، ترجمة: عبد القادر قنيني، أفريقيا الشرق، المغرب، ١٩٩٩م.
- نظام الارتباط والربط في تركيب الجملة العربية، لمصطفى حميدة، ناشرون، ط١، ١٩٧٧م.

والحمد لله فاتحة كل خير وتمام كل نعمة